المحاضرة الثانية

قصيدة الشعر العمودي

توطئة : إنّه من نافلة القول أن نبدأ هذه المحاضرة بمناقشة إشكاليّة مهمة تسلط الضوء عن البدايات الأولى للشعر المعاصر لتساءل هل بدأ الشعر المعاصر بظهور قصيدة التفعيلة ؟ وبالتالي أحدث القطيعة مع الشعر العمودي، ومؤرخا لظهوره بتغيير شكل القصيدة العربية، التي أرسى أسسها الفحل العربي منذ العصر الجاهلي .

إنّ الدّارس لبدايات الشعر المعاصر يلاحظ ذلك التعايش السلمي ولو مؤقتا بين الشعر العمودي و شعر التفعيلة ، والدليل أنّ هناك شعراء من مختلف الأقطار العربية ظلوا أوفياء للقصيدة الخليلية من أمثال : سليمان العيسى و محمد مهدي الجواهري والبردوني والبياتي ، ومحمد العيد آل خليفة ومفدي زكريا ، وهناك شعراء زاوجوا بين القصيدة العمودية و شعر التفعيلة، من أمثال : نزار قباني* وأحمد سليمان الأحمد وصلاح عبد الصبور .

مفهوم الشعر العمودي : لقد عرّف النقاد القدامى[1] الشعر بقولهم هو ذلك الكلام الموزون المقفى ، ليبقى هذا المفهوم ساريَ المفعول إلى العصر الحديث ، فظلّ الشعراء ينظمون الشعر محترمين الوزن والقافية ، يقول محمد بنيس في كتابه الشعر العربي الحديث « القصيدة العربية القديمة مجموعة أبيات أي مجموعة وحدات مستقلة متكررة لا يربط بينها نظام داخلي ، إنما تربط بينها القافية وهي قائمة على الوزن والإيجاز ، وقد فسّر هذا الشكل بسيطرة الروح القبلية عند العرب و بضرورات الحفظ والترنم ».

ملاحظة : هذا القول صالح للإثراء والمناقشة

---

* نزار قباني شاعر سوري كتب في بدايات تجربته الشعرية على منوال القصيدة الخليلية ، لكنه سرعان ما انقلب عليه وسمى البحور الشعرية بالأقفاص الستة عشر .

(1) قدامة بن جعفر (نقد الشعر) ، ابن قتيبة (الشعر والشعراء) ، الآمدي (الموازنة)

يقول محمد مهدي الجواهري*

نامي جياع الشعب نامي * حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لهم تشبعي * من يقظة فدن المنام
نامي على زبد الوعود * يداف في عسل الكلام
تتسوري قرص الرغيف في كدورة البدر التمام

فالقصيدة العمودية تقوم على وحدة البيت المتكرر والمستقل، على القافية التي تنظم هذه الوحدة المتكررة، وإذا نحاول نلمس جمالياتها فإننا نلمس ذلك في البيت المفرد.

موقف الشعراء المعاصرين من القصيدة العمودية:

كما قلنا سالفا، فإن الشعراء المعاصرين لم يتخلصوا في بداية أمرهم من الأوزان الخليلية، وهم ينظمون شعرهم، بل كانوا مشدودين بحبال قوية إلى أساليب القدامى، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقد رفضوا شعر التفعيلة رفضا قاطعا يقول محمد سليمان الأحمد** "لا أنا لا أؤمن بوجود مدارس شعرية، فالشعر إما أن يكون رفيعا أو لا يكون ولا وسط، وهناك شعراء لا مدارس، والشعر المسمى بالحديث لا هوية له ولا يثبت على الزمان ما تخلى عن الأوزان وتنكر للطابع والروح العربيين"[1]

① نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ص 388.

وعلى نقائض هذا الشاعر سار شعراء كثر نذكر منهم: محمد البردوني والفيتوري ومفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة وسليمان العيسى... غير أن هناك شعراء استهلوا تجربتهم الشعرية مباشرة بشعر التفعيلة كنازك الملائكة وبدر شاكر السياب ومحمود درويش.

السؤال: هل يمكن وضع تصور واضح عن تعايش النوعين الشعريين؟ سؤال للمناقشة والإثراء.

* محمد مهدي الجواهري شاعر عراقي (1900 - 1998) في أعظم الشعراء الذين لم يحيدوا عن القصيدة الخليلية.

** محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) 1904 - 1981 شاعر سوري.